الرسالة

(أعمال ٩: ٣٢–٤٢)

في تلك الأيام فيما كان بُطرسُ يطوفُ في جميع الأماكن نزلَ أيضاً إلى القدِّيسينَ الساكِنينَ في لُدَّة* فوجد هناك إنساناً اسمه أينِياس مُضطَجعاً على سريرٍ منذ ثماني سنينَ وهو مخلَّع* فقال له بطرسُ يا أينياسُ يشفِيكَ يسوعُ المسيحُ قُم وافتَرِشْ لنفسِك. فقام للوقتِ* ورآهُ جميعُ الساكِنينَ في لُدَّة وسارونَ فرجعوا إلى الرب* وكانت في يافا تِلميذةٌ اسمها طابيثا الذي تفسيرُهُ ظَبية. وكانت هذه مُمتلئةً أعمالاً صالحةً وصدقاتٍ كانت تعملُها* فحدث في تلك الأيامِ أنَّها مَرِضَت وماتت. فغَسلوها ووضعوها في العلِّيَّة* وإذ كانت لُدَّةُ بقربِ يافا وسمعَ التلاميذُ أنَّ بطرُسَ فيها أرسلوا إليه رجُلين يسألانِه أنْ لا يُبطئَ

«يشفيك يسوع المسيح»

يروي سفر أعمال الرسل، في القسم الذي يسبق مباشرة المقطع المتلوّ على مسامعنا اليوم، قصّة توبة شاول (بولس الرسول) وكيف حوّله الرّبّ يسوع من أشرس مضطهديه إلى «إناء مختار ليحمل اسمي أمام أممٍ وملوكٍ وبني إسرائيل» (٩: ١٥). لا شكّ في أنّ الضغط خفّ كثيرًا عن الكنيسة الناشئة آنذاك، بتحوّل شاول. يؤكّد سفر الأعمال هنا أنّ السلام عمَّ كنائس اليهوديّة والجليل والسامرة حتّى إنّها «بتعزية الروح القُدُس كانت تتكاثر» (٩: ٣١). طبعًا، لم يكن هذا السلام شاملًا ولا نهائيًّا، لكنّه عزّى المؤمنين وشدّدهم، بدليل أنّهم باتوا يتكاثرون. لا يعتبر المؤمنُ فَتراتِ الهدوء بعد التجارب هدنة للإسترخاء، بل مناسبة للفرح بتعزيات الله أوّلاً، ولتعزيز دفاعاته الإيمانيّة وتعميق تجذّره في العلاقة مع الله. تمامًا كالّذين «جالوا مبشّرين بالكلمة» بعدما تشتّتوا، وكانت أعمالهم تسبّب للناس الفرح العظيم أينما حلّوا (أع ٨: ٤–٧).

لعلّ الرسول بطرس ارتاح إلى أوضاع جماعات المؤمنين في الجليل واليهوديّة والسامرة فانطلق يتفقّد الخدمة في النواحي المحيطة نزولًا حتّى مدينة اللّدّ الساحليّة. تلفتنا عبارة «وهو يجتاز بالجميع»، إذ تشير إلى غيرة الرسول بطرس على الخدمة التي ائتمنه عليها المسيح (يو ٢١: ١٥). نراه هنا كالقائد العسكريّ المتفقّد وحدات جيشه مزوِّدًا إيّاها بالمعنويّات من جهة، وبالتوجيهات والتعليمات اللازمة من جهة ثانية. يظهر الرسول بطرس، بهذه الصورة، في سفر الأعمال، دائمًا في المقدّمة و«ممتلئًا من الروح القدس»: في المواجهات كما أمام «اليهود والساكنين في أورشليم أجمعين» (٢: ١٤)؛ بعد العنصرة العظيمة وفي وجه «رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل» (٤: ٨)، إضافةً إلى العجائب وآيات الشفاء (٣: ٢–٨ و٥: ١٤). كان الرسول بطرس في المقدّمة حيثما اقتضت الحاجة، لكنّنا، في الوقت عينه، لا نراه يطلب

العدد ١٧ / ٢٠١٨
الأحد ٢٩ نيسان
أحد المخلّع
تذكار الرسولين ياسُن وسوسيباتروس
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الخامس

لنفسه أيّ نوع من المكانة أو الرئاسة. هذه صورة المؤمن الذي بمجرّد أن يعتنق المسيح ربًّا وسيّدًا يكمل حياته بمقتضى أمرين هما: أنه لا سيادة إلاّ للمسيح، وأنّه صار مسؤولًا عن حمل المسيح إلى الآخرين بمقدار ما أُعطي من وزنات. لذا نقرأ في سرّ المعموديّة المقدّس النصّ الإنجيليّ القائل «اذهبوا وتلمذوا كلّ الأمم (...) وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (مت ٢٨: ١٩-٢٠). أمّا عبارة «القدّيسين الساكنين في لدّة» فتشير إلى المهتدين للمسيح والمؤمنين به الّذين كانوا في تلك الناحية. المسيحيّ ملزَم، إذا جاز التعبير، بأن يتّسم بروح القداسة، لا بل أن يكون مطبوعًا بها، ذلك أنّ علّة وجوده في هذا العالم أن يشهد لحضور الله وقداسته في العالم: «أقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم» (يو ١٥: ١٦).

صادف الرسول بطرس، في اللدّ، إنسانًا مفلوجًا منذ ثماني سنين. لا نعرف من سياق النصّ إن كان المفلوج في بيت وله من يهتمّ به، أم مُلقًى وحيدًا. بديهيّ أن يكون المفلوج ومَن حوله فاقدي الأمل في الشفاء. حتّى في زماننا الحاضر، لا علاج للفالج خصوصًا إن مرّت عليه سنوات. هنا، قاد الرّبّ رسوله ليُظهر مجده، بقوّة، في وسط جماعة ناشئة معظمها من المهتدين الجدد. يهب الربّ عجائبه وآياته الباهرة فقط من أجل تعزية المؤمنين وتشديد إيمانهم. أمّا غير المؤمنين فينظرون من دون أن يبصروا ويسمعون من دون أن يفهموا بحسب ما تنبأ عليهم النبيّ إشعياء (٦: ١٠). عودةً إلى حادثة الشفاء، قلنا إنّ المفلوج كان بطبيعة الحال فاقدًا الأمل من شفائه، بشريًّا. لكنّه، بحسب ما تُعلّمنا خبرة الكنيسة، لم يكن فاقد الإيمان بالله، بدليل أنّه شُفي. يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم إنّ إيمان الرجل بالله فتح روحه وجسده على اقتبال النعمة فشُفي. يرمز الفالج إلى حال الخطيئة التي يصبح المبتلى بها «عاجزًا عن الحركة»، وكأنّه ميت وهو حيّ. وحدها التوبة، متى تحرّكت فيه، تفتحه على اقتبال النعمة الشافية فيشفى. يفتقد اللهُ المريضَ اليائس، كما يعلَم وكما يشاء، ويشفيه. لذا، مهما غرق الخاطئ في خطيئته، علينا أوّلاً ألاّ ندينه، وثانيًا ألّا نيأس من عودته إلى الله. ثمّة شهادات لا تُحصى، في خبرة الكنيسة، عن حالات توبة تفوق الوصف. أمّا الرسول بطرس، فبكلّ بأس وبطولة، وكما يليق بتلميذ المسيح، فقد واجه المرض المستعصي بالسلاح الأقوى الذي هو اسم يسوع المسيح: «يا إينياس يشفيك يسوع المسيح. قُم وافرش لنفسك». يُعلن الرسول، بهذا، أمرين في الوقت عينه: مجد يسوع المسيح وقوّة اسمه، وأنّ كلّ موهبة أو قوّة مصدرها الرّبّ وحده. كلّ من تعمَّد على اسم الآب والابن والروح القدس أصبح بالفعل ذاته رسولاً، وكلّ موهبة ما هي إلا شكل من أشكال نعمة الله إلى الناس. مَن أوتي حكمة فمن أجل أن يفيد الآخرين بها، ومَن أوتي موهبة التعليم فهو ناقل للمعرفة فقط، وليس بأيّ شكل من الأشكال مصدرًا لها. حتّى ولو أعطي لأحد أن يرى صلاته أثمرت شفاءً فليتذكّر أنّه مجرّد إناء خزفيّ، بَخِس الثمن، سريع العطب، تقبّل الله صلاته بمقدار ما استطاع أن يحبّ. حتّى في الأمور المادّيّة، الغني مؤتمن على أمواله وثرائه ليستثمرهما في فعل الخير ومساعدة كلّ محتاج، وإلّا كان عن القدوم إليهم* فقام بطرُسُ وأتى معهما. فلمَّا وصل صعِدوا به إلى العلّيَّة ووقف لديه جميعُ الأرامِل يبكَين ويُرينهُ أقمِصةً وثياباً كانت تصنَعُها ظَبيةُ معهنَّ* فأخرج بُطرسُ الجميعَ خارجاً وجثا على رُكبَتيهِ وصلَّى. ثم التفتَ إلى الجسدِ وقال يا طابيثا قومي. ففتحت عينيها. ولما أبصرَت بُطرسَ جلست* فناولها يده وأنهضها. ثم دعا القدِّيسين والأرامل وأقامها لديهم حيَّةً* فشاع هذا الخبُر في يافا كلِّها. فآمن كثيرون بالرب.

الإنجيل

(يوحنا ٥: ١-١٥)

في ذلك الزمان صعِد يسوعُ إلى أورشليم* وإنَّ في أورشليم عند بابِ الغنمِ بِركةً تُسمَّى بالعبرانية بيتَ حِسدا لها خمسةُ أروقةٍ* كان مضطجعاً فيها جمهورٌ كثيِّر من المرضى من عميانٍ وعُرْجٍ ويابسي الأعضاءِ ينتظرون تحريكَ الماءِ* لأنَّ ملاكاً كان ينزل أحياناً في البِرْكَةِ ويحرّك الماءَ. والذي كان ينزلُ أولاً من

بعدِ تحريكِ الماءِ كان يُبرأ من أيّ مرض اعتراه* وكان هناك إنسانٌ به مرضٌ منذ ثمانٍ وثلاثين سنةً* هذا إذ رآهُ يسوعُ مُلقًى وعلِم أنَّ له زمناً كثيراً قال له أتُريدُ أن تُبْرأ* فأجابه المريضُ يا سيّدُ ليس لي إنسانٌ متى حُرّكَ الماءُ يُلقيني في البِركة بل بينما أكونُ آتياً ينزِلُ قبلي آخَرُ* فقال له يسوعُ قُمِ احمِلْ سريرَك وامشِ* فللوقت بَرِئَ الرجلُ وحمل سريرَهُ ومشى. وكان في ذلك اليوم سبتٌ* فقال اليهود للذي شُفي إنَّه سبتٌ فلا يحِلُّ لك أن تحمِلَ السريرَ* فأجابهم إنَّ الذي أبرأني هو قال لي إحملْ سريرَك وامشِ* فسألوهُ مَن هو الإنسانُ الذي قال لك احملْ سريرَك وامشِ* أمَّا الذي شُفي فلم يكُن يعلمُ مَن هو. لأنَّ يسوعَ اعتزلَ إذ كان في الموضِعِ جمعٌ* وبعدَ ذلك وجدهُ يسوعُ في الهيكلِ فقال له ها قد عُوفيتَ فلا تَعُدْ تُخطئْ لئلا يُصيبك أشرُّ* فذهبَ ذلك الإنسانُ وأخبر اليهودَ أنَّ يسوعَ هو الذي أبرأهُ.

سارقهما حسب قول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم. الرسول بطرس، الّذي هو بمثابة قائد بين الرسل، لم يبتغِ إلّا إظهار مجد المسيح بقوّة، فأمر المفلوج بأن يقوم ويفرش لنفسه لكي يرى الجميع أنّ الميؤوس من شفائه شفي بقوّة اسم يسوع المسيح، لا بل عاد معافًى قويًّا فتعزّى برؤياه «جميع الساكنين في لدّة وسارون، الّذين رجعوا إلى الربّ».

الإنسانيَّة المخلَّعة

رتّبت كنيستنا المقدّسة أن نقرأ في الفترة الفصحيّة مقاطع من إنجيل يوحنّا، ذلك لأنَّ الإنجيل الرابع، حسب ترتيب قانون الكتاب المقدّس، هو إنجيل روحيّ نعاين فيه السموّ اللاهوتيّ. تقرأ الكنيسة على مسامعنا، في الأحد الثالث بعد الفصح، حادثة شفاء مخلَّع بيت حسدا، الذي كان مريضًا منذ ثمان وثلاثين سنة وينتظر أن يلقيه أحدٌ في البركة ليشفى بعد نزول الملاك وتحريكه الماء (يو ٥: ٥ – ٧). هذا الأحد، نرتل أيضًا القنداق: «أنهِض يا ربُّ بعنايتك الإلهيَّة نفسيَ المخلَّعة جدًّا بأنواع الخطايا والأعمال القبيحة، كما أقمتَ المخلَّع قديمًا، حتّى إذا تخلَّصتُ أصرخ هاتفًا: المجد لعزّتك أيّها المسيح الرؤوف».

نتيجةً لسقوط الإنسان، تخلَّعت الإنسانيَّة ومرضت ولبست الخطيئة. ليس المخلَع هنا إلَّا صورة عن هذه الإنسانيَّة المخلَّعة العليلة التي تجسّد ربّنا ومات وقام من أجل أن ينهضها من فسادها ويعيدها إلى حالتها الفردوسيّة، إلى الملكوت السماويّ. ليست الخطيئة سوى تعدٍّ لوصايا الله، وعائقٍ حقيقيّ لتحقيق ملكوت السموات. أمَّا المرض فناتج عن الخطيئة. ما من إنسان في عالمنا اليوم لم يُجرَّب بالحزن أو الخوف أو الشكّ أو التحطّم الداخليّ، وما هذه إلاَّ حالة مرضيَّة روحيَّة وجسديَّة، لأنّ جسدنا يتأثّر عندما نمرض روحيًّا والعكس صحيح.

غاية التجسّد وكلّ العمل الخلاصيّ الذي أتمَّه الرّبّ هي إعادة الإنسان إلى حالة ما قبل السقوط، أي التألّه. يقول القدّيس أثناسيوس الكبير: «صار الإله إنسانًا ليصير الإنسان إلهًا»، أي اتّخذ الله الطبيعة البشريَّة المنفسدة بالخطيئة ليقدّسها ويؤلّهها ويقودها إلى الحالة التي كانت عليها في الفردوس قبل السقوط. نقرأ في غروب أحد المخلَّع: «يا له من عجب مستَغرَب، إنّ خالق الكلّ قد شاء أن يتمسكن بطبيعتنا، وبما أنَّه المتحنّن لبس جسدًا، وتصرّف مع البشر، وأرى اليهود كثرة العجائب، لذلك شفى المخلّع قديمًا بوقوفه على البركة إذ قال له احمل سريرك وامشِ».

منح الرّبّ الإنسانيَّة، من خلال سرّ المعموديّة، الّذي يملأنا بالروح القدس، نعمة التجدّد وإعادة الولادة للوصول إلى الغاية المنشودة. يقول أحد اللاهوتيّين إنّ المعموديّة التي تطهّر الخطايا، تجعل من المائتين أحياء، وبتناولنا الأسرارَ المقدَّسة نتّحد به. يوضح لنا النصّ الإنجيليّ الذي نسمعه اليوم مفاعيل المعموديّة وقدرتها على شفاء النفس والجسد. يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم إنَّ النّصّ الإنجيليّ هو تصوير مسبق للمعموديّة، وإنَّ تحريك الماء إشارة إلى ما سيعمله الروح القدس في كلّ مَن يقبله. يقول القدّيس أمبروسيوس أسقف ميلانو

(+٣٩٧) في عظته حول حادثة الشفاء هذه: «كان تحريك الماء للناس علامة، أمّا أنتم فَلَكُم الإيمان. عليهم كان ينزل ملاكٌ، وعليكم ينزل الروح القدس. لأجلهم كانت الخليقة تتحرّك، ولأجلكم يعمل المسيح نفسه، ربّ الخليقة. آنذاك واحدٌ فقط كان ينال الشفاء، والآن يصبح الجميع أصحّاء. تلك البِرْكة كانت رمزًا لتؤمنوا بأنّ قوّة الله تنزل على هذا الجرن (جرن المعموديّة)... يرمز نزول الملاك إلى نزول الروح القدس الذي ينزل في أيّامنا ويقدّس المياه التي تحرّكها صلاة الكاهن. في ذلك الوقت كان الملاك خادمًا للروح القدس، والآن نعمة الروح أمست دواءً لأمراض نفوسنا وأذهاننا».

يذكر المقطع الإنجيليّ، من جهة ثانية، المدّة التي بقي فيها المخلّع مريضًا (٣٨ سنة) وهي المدّة نفسها التي قضاها الشعب العبرانيّ تائهًا في صحراء سيناء قبل أن يصل إلى أرض الميعاد ويدخلها. إن كانت أرض الميعاد ترمز إلى المسيح، حيث الحياة والكمال، فالصحراء، حيث يسود الجفاف، ترمز إلى حالة الإنسان المخلَّعة والمشوَّهة بكلّ أنواع الأمراض. كانت مدّة مرض المخلّع طويلة، وعلى الرّغم من ذلك لم يفقد صبره يومًا ولا شجاعته ولا يئس من حالته، بل كان ينتظر دومًا أن يساعده أحدٌ ويرميه في البِركة، وقد كان يرى، كلّ سنة، أحدًا غيره يشفى. قد يسأل البعض: لماذا لا يذكر هذا المقطع شفاءَ أناس آخرين؟ ألم يكونوا متواجدين حين أتى الرّبّ؟ لماذا دنا الرّبّ يسوع فقط من هذا المخلّع وشفاه؟ يجيب أحد اللاهوتيّين على هذه التساؤلات: «لأنَّ الرّبّ أراد أن يبرز صبره». يقول الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية: «لأنَّ كلّ ما سبق فكُتِبَ كُتِبَ لأجل تعليمنا، حتّى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء. وليعطكم إله الصبر والتعزية أن تهتمّوا اهتمامًا واحدًا فيما بينكم، بحسب المسيح يسوع» (١٥: ٤ – ٥). كثيرًا ما يزيد المرض من تقوانا، ويجعلنا نقترب من الله أكثر، أمّا الصحّة فما هي إلاَّ عمل النعمة فينا، لا استحقاقًا لنا. لم يتحرّر المخلّع من مرضه بسبب فضيلته، بل بسبب محبّة الله للبشر، بسبب إحسان الله إليه.

كان المخلَّع جالسًا على البركة ينتظر أحدًا ليرميه في الماء، لكنّه لم يشفَ بالمياه كما كان يريد، بل شُفي بكلمة الرّبّ وحدها عندما أتى إليه. هكذا، ليست إنسانيّتنا المخلّعة بحاجة إلّا لأن تسمع صوت الرّبّ لتُشفى من اعوجاجها ومرضها. بركة بيت حسدا، ذات المياه الراكدة، تشبه إلى حدّ كبير حياتنا اليوميّة الراكدة في الخطيئة والأهواء، والاهتمامات الأرضيَّة التي يخلقها الإنسان من حوله ليبقى متمسّكًا بالأمور الفانية.

كما شفى المسيح المخلَّع بعد ٣٨ سنة، كذلك هو يشفي إنسانيّتنا من أمراضها بمجرّد قبولنا كلمته فينا، فيقوِّم أعمالنا لنقوم من سباتنا ونسير نحو الملكوت السماويّ.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

تأمل

لن يتخلّى عنا الرب إن اقتربنا منه على الدوام من القلب. هو يريد أن تلتهب قلوبنا وأرواحنا برغبة واشتياق أكبر له حتى لا نبتعد يوماً عنه وعن محبته.

غالباً ما تصيبنا نوائب كثيرة وكل ذلك لأننا لم نتواضع بعد. حين تتواضع النفس وتنحني أمام إرادة الله تتوقف عندها معاناتنا ومصائبنا. لأن مصائبنا ومعاناتنا ستصبح عندها وكأنها عزيزة علينا، وسنبلغ إلى فهمٍ للحياة مختلف تماماً. لا نعود نفكّر بحسب قوانين هذا العالم بل نرى كل شيء تحت نور مختلف. ويبدو كلُّ ما ننظر إليه وكأنه أكثر إشراقاً ومليئاً بالحب. يصبح كل شيء صالحاً لأنه مُرضٍ لله. نحن مخلوقاته وكل مخلوق هو مُلك له. لقد أبدع اللهُ كل الأشياء لنفسه، لكي نصبح مشاركين لمحبته الإلهية وسلامه وفرحه الإلهيَّين.

الشيخ تداوس الصربي